الفِعْلُ التَّعَلُّمِيُّ وَالمَوَارِدُ التَّعْلِيمِيَّةُ المَفْتُوحَةُ: ضَغْطُ النَّمُوذَجِ الثَّقَافِيِّ وَتَحَدِّي بِنَاءِ المَعْرِفَةِ

Learning action and open educational resources: cultural paradigm pressure and the challenge of knowledge construction

د. عبد السَّلام عابي* **د. محمَّد يزيد سالم**

جامعة باتنة1-الحاج لخضر/ الجزائر جامعة باتنة1-الحاج لخضر/ الجزائر

مخبر أبحاث في التُّراث الفكري والأدبي بالجزائرمخبر أبحاث في التُّراث الفكري والأدبي بالجزائر

Abdesalam.abi@univ-batna.dz mohamedyazid.salem@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2024-04-19	تاريخ التقييم:2024-06-09	تاريخ القبول:2024-07-06

الملخص:

تروم هذه المداخلة النظر في الموارد التعليمية المفتوحة باعتبارها مكونا جديدا في الفعل التعلمي الحديث، الذي بات اليوم مزيجا بين التعليم النظامي و مجمل الموارد المعرفية المتاحة على الشابكة العالمية؛ معارف وتطبيقات وبرامج مختلفة، وتسرح الطرف في واقع استخدام هذه الموارد في المنظومة التعليمية في العالم العربي وما يرافق هذا الاستخدام من تجاوز لأوليات ومنطلقات غاية في الأهمية يأتي على قبتها تهيؤ تلك المنظومات واستعدادها لهذه الممارسات، كما ترصد أثر هذه الموارد في المتعلم وما يترتب عليها من مخاطر محتملة تنشأ عن الاستعمال غير المدروس لهذه الموارد، ولا تغفل أثر تلك الموارد على العملية التعلمية التعليمية ذاتها من حيث هي البيئة الأساس التي يمارس فيها المتعلم تعلماته المختلفة،

ولا تغفل المداخلة الحديث عن أهمية تحيين المناهج التعليمية وفق هذه المستجدات التي تتيحها الموارد التعليمية المفتوحة، كما تصوب النظر جهة مجمل المخاطر التي قد تنجم عن الاستغلال غير الواعي لهذه الموارد، وواجب المجتمع بكل مكوناته تجاه هذا المستجد.

الكلمات المفتاحية: التَّحوُّلات؛ الرَّقمنة؛ التَّعليميَّة؛ الموارد؛ اللُّغة.

Abstract :

This intervention seeks to consider open educational resources as a new component in the modern educational process, which today has become a mixture between formal education and all the cognitive resources available on the global network .Different knowledge, applications, and programs, and distracts oneself from the reality of the use of these resources in the educational system in the Arab world and the accompanying use of the overcoming of very important priorities and starting points, at the top of which is the preparation of these systems and their readiness for these practices. It also monitors the impact of these resources on the learner and the resulting consequences .Potential risks arising from the unconsidered use of these resources, and do not ignore the impact of these resources on the educational learning process itself in that it is the basic environment in which the learner practices his various learnings, and the intervention does not neglect to talk about the importance of updating educational curricula in accordance with these developments made available by open educational resources.

It also focuses attention on the overall risks that may result from the unconscious exploitation of these resources, and the duty of society with all its components towards this new development.

Key words :transformations; digitization; educational; resources; the language.

*المؤلف المراسل:

1.مقدمة:

أضحى الحديث عن فعل التعلم الذي يضطلع به المتعلم لا المعلم السمة البارزة للعملية التعلمية التعليمية في المقاربات البيداغوجية الحديثة، ذلك أن هذه المقاربات إنَّما تتغيا الوصول إلى متعلم باحث عن المعرفة في جميع مصادرها، بل وصانعا لها أيضا مُتَمَثّلةً المثل الصيني الشهير:"بدلا من أن تعطي ابنك سمكة علمه كيف يصطادها"[1]. ولا يخفى أن زمن استحواذ المعلم على المعلومة واعتباره مصدرها الوحيد قد ولى بغير رجعة؛ إذ أصبح في

الوُسع وبضغطة زر الوصول إلى ملايين المصادر الرقمية التي لا تقتصر على تقديم المعلومة فقط بل تقدمها للمتعلم بأساليب أقل ما يقال عنها إنها أساليب نشطة تفاعلية، تناسب سن المتعلم وتراعي خصائصه النفسية والوجدانية والمعرفية.

وتشكل هذه الموارد الرقمية والبرامج والتطبيقات واقعا لا انفكاك منه بحال؛ فهي الآن جزء من نموذج(بارادايم) ثقافي عام سمته البارزة الانصراف شبه التام نحو المنتجات الرقمية بكل تجلياتها، وهي منتجات متلاحقة بوتائر سريعة لا يستقر لها حال ولا يقر لها قرار. والحاصل أن موارد التعليم المفتوحةوالبرامج والتطبيقات قد أضحت اليوم واقعا لا يختلف اثنان في ضرورته ولا يتناطح كبشان في سيرورته؛ لأجل ذلك فإن الحديث عن المعارف الموجودة في البيئات الرقمية قد شغل الكثير من الباحثين، وهو انشغال منصرف نحو جهتين؛ الأولى المساحة التي تشغلها المعارف والبرامج والتطبيقات المرتبطة بالمواد والمقررات الدراسية ضمن هذه البيئات، والثانية مدى إمكان الاستفادة من مجموع ما توفره التحولات الرقمية من موارد تعلمية كثيرة تسهم لا محالة في تيسير العملية التَّعلميَّة، والدفع بها نحو الفاعلية المحققة للأهداف التَّعلميَّة،كما تسهم من وجه آخر في النهوض باللغة العربية وتعزيز مكانتها العلمية في ظل المنافسة التي تعرفها اللغات الطبيعية.

كما أن الحديث عن مدى إسهام الباحثين العرب في صنع التقنية وتوظيفها في تعليم اللغة العربية- على الخصوص- يشغل هو أيضا جانبا من تلك النقاشات ذات الطابع الأكاديمي؛ إذ لم يعد مناسبا الوقوف موقف المستهلك تجاه ما يستجد من معارف كثيرة تفد على العالم العربي كسيل جرار أناء الليل وأطراف النهار.

2. من التَّعلِيم إلى التَّعلُّم:

يشيع في الأوساط التي تُرَوج للمقاربات التعليمية الجديدة أن المتعلم في المقاربات التعليمية القديمة ما هو إلا وعاء حامل للمعلومة، لا يضطلع بوظيفة التفكير، ولا يبادر إلى صنع المعرفة والبحث عنها في مظانها ومع كامل التحفظ على هذا الطرح[2]، فإنه وبسبب من الطرح السابق حدث أن توالت الانتقادات التي وُجهت للمقاربات التعليمية القديمة. وقد أجمعت تلك الانتقادات على أن التعليم في المقاربات القديمة قد " اهتم بالكم أكثر من الكيف، وبالحفظ أكثر من الفهم، وبالمنهج أكثر من الطالب، مما جعل النظام التعليمي بعيدا عن تحقيق أهدافه، وبعيدا عن تخريج القوى العالمة المطلوبة والمناسبة من حيث العدد والكم"[3]، وأصبح يُنظر لمخرجات المقاربات التي توصف بأنها قديمة بعين السخط

مبدية المساوئ التي درج نقاد تلك المقاربات على اجترارها وتكرارها، ومع أن هذا الطرح الجديد قد صوب النظر جهة المتعلم لا المعلم وعده محور العملية التعلمية التعليمية، فإنه لم يلغ " دور المعلم؛ فبالرغم من أن المتعلم هو محور العملية التعليمية في التعليم النشط، إلا أن هذا الدور لن يتحقق دون وجود معلم ميسر ومسهل لعملية التعلم"[4] ؛ فالمعلم إذن مرافق وموجه ومخطط ومسهم في فعل التعلم.

وقد رافق ذلك تحول في توظيف المصطلحات الدالة على هذا التحول؛ فأضحى الحديث عن التعلم بدل التعليم، وعن الفعل التعلمي التفاعلي بدل الفعل التعلمي الثابت، وعن الأنشطة التعلمية بدل الموضوع وما شابه. وكلها مصطلحات تشترك من حيث الدلالة في الحديث عن نشاط تعلمي يضطلع به المتعلم، ويؤطره ويصنع خطته ويوضح مساره ويرسم أهدافه المعلم.

ولما كان فعل التعلم منوطا بالمتعلم فإن سعيه نحو المعرفة تعدى حدود المعارف المقدمة في بيئة التعلم النظامية، وانصرف جهة المصادر التعلمية المفتوحة، وقد ساعد يسر وسهولة الوصول إلى تلك المصادر على الإقبال عليها إقبال النهيم الذي يجد في المصادر المفتوحة غايته ومناه.

فما المصادر التعليمية المفتوحة وكيف ارتبطت بالتحولات الرقمية الكبرى؟

3. التحولات الرقمية بدايات وتطورات:

نحتاج في هذا العنصر إلى رصد لحظة ميلاد المصطلح وتتبع تطوراته التاريخية، ثم ضبط دلالة مصطلح التحول الرقمي، وإن كان في ذلك نوع صعوبة؛ باعتبار أن المصادر المتاحة لا تسعف الباحث في تحديد لحظة الميلاد ولا في ضبط الدلالة الدقيقة للمصطلح.

1.3. التحولات الرقمية: النشأة والتطور:

ليس يسيرا الحديث عن تاريخ محدد يؤرخ لنشأة التحولات الرقمية باعتبار هذه التحولات مرتبطة أساسا بالتحولات المعرفية والعلمية الكبرى التي عرفها الإنسان في مساره المعرفي والحضاري، تحديدا منذ بدء الثورة الصناعية في أوروبا وحتى يومنا هذا، و" تتجلى هذه الثورة في صورة اندماج شامل بين أنساق متدافعة من الثورات العلمية في مختلف مظاهر الحياة الإنسانية والمعرفية، لتأخذ تتقاطع فيه الثورات المعرفية والعلمية بالطفرات التكنولوجية ولتشكل في الوقت نفسه هيئة نظام كوني معقد فائق الذكاء يفوق كل ما أبدعته الإنسانية من أساطير وأوهام"[5].

ويؤكد النظر الواعي أن سعي الإنسان نحو الربط بين معارفه المكتسبة من تجاربه المختلفة وتحسين حياته " ليس وليد العصر الحديث ، ولكن تطبيق النظرية في مجال الواقع ظل دائما ومنذ بدء الخليقة هو أحد المبادئ الرئيسية التي حكمت حياة الإنسان ووجهت تفاعلاته وحركته في أثناء الحياة، وهذا ينطبق على كل شيء اخترعه الإنسان عبر تاريخه الطويل، وهذا في إشعال النار والسيطرة عليها وإنشاء المساكن وحماية نفسه من مخاطر الطبيعة..."[6]. وقد انقدحت في الذهن فكرة الاستعانة بالآلة منذ آماد طويلة، وكان حال بعض المخترعات كحال البذرة تكمن تحت الأرض تنتظر الوقت والظروف المناسبة لتخرج في صورة أجهزة ووسائل تيسر حياة الإنسان وتختصر الوقت وتقلل الجهد.

والنظر في مفهوم التحولات الرَّقمية الثاوي في أذهان الناس يحيل إحالة مباشرة على بدايات استعمال الحاسوب في جميع مناحي المعرفة، وقد كان استعمال الحاسوب كما هو معروف قديما نسبيا؛ إذ اخترع الحاسوب عام 1948، ولما كان الإنسان مفطورا على البحث فيما ييسر له حياته فإنه والحال هذه قد تعامل مع الحاسوب على أنه أداة ميسرة ومسهلة لحياته، فحدث أن أدخله في جميع مناحي حياته؛ لذلك لا يستغرب أن يلج الحاسوب مجال دراسة اللغات الطبيعية في وقت مبكر نسبيا، غير أنه "من الصعوبة بمكان وضع تأريخ زمني لبدء استخدام الحاسوب في دراسة اللّغة على مستوى العالم، ذلك لأنه لم يحدث دفعة واحدة بل نتيجة لمحاولات متفرقة، وعلى مراحل زمنية مختلفة وفي دول متعددة"[7].

2.3. التَّحول الرَّقمي مفهوما:

عند البحث عن مصطلح التحول الرقمي في بيئاته الحاضنة التي نشأ فيها نجده مرتبطا بكثير من العلوم الحَقَّة (وتسمى أيضا العلوم الصلبة)، وهذا أمر مُعلل له ما يبرره من حيث الإرهاصات التي سبقت نشأة هذا المصطلح، وكذا العوامل المسهمة في تطويره وتحويله نحو استخدامات شتى؛ فالحاسوب مثلا آلة صنعت لترافق التحولات الصناعية الكبرى، التي عرفتها أوربا تحديدا، وهي تحولات توجهت نحو الاقتصاد في الكلفة المادية و اختصار الوقت الذي يخصص للتصنيع. وليس أفضل من توظيفه في الصناعة والتجارة ومختلف العمليات المرافقة، وهو أي الحاسوب أساس التحول الرقمي ونواته الأولى.

وبالنظر في المصادر المعرفة لمصطلح التحول الرقمي فإنها على قلتها تعطي فكرة واضحة عن مفهومه ومجال اشتغاله:

- يُعرف علي السلمي، التحول الرقمي بأنه:" جهد خاص تباشِرُه المنظمة في تصميم نظام الأعمال المميز، والذي يسمح لها باستثمار تقنيات الاتصالات والمعلومات إلى أبعد مدى؛ مما ينعكس على تمتعها بكل ما تتيحه التقنية الرقمية من إمكانيات للعمل والأداء لم تكن متوفرة من قبل، بالإضافة إلى تمتعها بمزايا نظام للأعمال يحقق لها السبق في المنافسة"[8].
- ويُعرف محمد الهادي التحول الرقمي بأنه:" عملية سعي المنظمة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتكنولوجيا شبكة الإنترنت العالمية؛ لتحسين أداء مهامها وعملياتها المختلفة، ونقلها لمن يحتاج إليها في داخلها أو خارجها، وذلك من خلال الاعتماد على موارد ثلاثة هي: المعلومات المتدفقة والمتوافرة بها، وتكنولوجيا ونظم المعلومات المستخدمة، والموارد البشرية المناط بها، والقيام بالمهام المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق أهداف المنظمة في ظل استراتيجياتها"[9].

الذي يتحصل من التعريفين السابقين لمصطلح التحول الرقمي أنه: انصراف جماعة أو جهة أو مؤسسة ما نحو اعتماد وتوظيف كل مخرجات التقنية بشتى أشكالها. وهو انصراف قديم جدا أسست له الثورة الصناعية و زرعت بذوره التي كمنت وهمدت مدة من الزمن ثم ما لبثت أن خرجت للوجود مع اختراع الحاسوب معلنة بداية عصر جديد يمكن وسمه بأنه عصر التقنية. والتحول الرقمي مخرج مهم من مخرجات التقنية انبنى عليه تغير كبير في أنماط التعليم وتلقي المعارف المختلفة، بل في الحياة كلها التي أضحت اليوم حياة رقمية بالأساس.

4. العلوم الإنسانية ومسايرة التحولات الرقمية:

ليس غريبا أن يرتبط التحول المعرفي في بدايته بالعلوم الصلبة كالرياضيات والفيزياء وسائر العلوم؛ لأن أدوات هذا التحول إنما نشأت ضمن البيئة الحاضنة لتلك العلوم، لكن الانتباه إلى إمكان إرفاد العلوم الإنسانية والاجتماعية والأدبية بما أفرزه هذا التحول الرقمي من مستجدات وممكنات قد عجل بتوظيف تلك المفردات في حقول أدبية كثيرة في مرحلة متقدمة نسبيا؛ فقد وفر الحاسوب منذ أول اختراعه وحتى يومنا هذا خدمات جليلة للغات الطبيعية توزعت على المستويات المعروفة المكونة للنظام اللغوي المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي ثم أخيرا المستوى التداولي.

وقد أفرز تلاقي علوم اللغة مع علوم الحاسب علما جديدا هو اللسانيات الحاسوبية، وهو علم جديد نسبيا قدم خدمات جليلة للغات الطبيعية، وأسهم بشكل مباشر في تحسين العملية التَّعلميَّة التعليمية، بما وفره من معطيات ومعارف وتطبيقات تصب كلها في إطار تحسين فعل التعلم وتقديم مكانز معرفية متنوعة، واللسانيات الحاسوبية في أحد تعاريفها "علم متخصص في دراسة اللغات ومعالجتها بشكل تطبيقي لخلق برامج وأنظمة معلوماتية (ذكية) يتحدد دورها في مساعدة مستخدم الحاسوب على حل بعض الأمور المتعلقة باللّغة وبالمعلومات الرقمية بشكل عام، فهي إذا نظام بيني، بين اللسانيات وعلم الحاسوب المعني بحوسبة الملكة اللغوية (...) وهي أولا وقبل كل شيء فرع من اللسانيات التطبيقية المتصلة بالذّكاء الصناعي."[10]، وهي والحال هذه مصدر رئيس من مصادر التعلم المفتوحة بما توفره من مادة معرفية مضمنة في تطبيقات وبرامج قابلة للتعامل المباشر من لدن المتعلم بشكل يسير وسلس.

أما عن واقع البحث النظري عندنا معشر العرب في مجال المصادر التعليمية المفتوحة فإن الواقع ينبئ عن اتساع الهوة بين التنظير و الاستعمال؛ لأن استعمال مفرزات التحولات الرقمية في العالم العربي على مستوى الأفراد أصبح واقعا متسارعا يجد جديد في كل لحظة، بينما يعرف البحث النظري في هذا المجال تأخرا كبيرا عن نظيره الغربي، وأسباب ذلك أكبر من أن تذكر هنا، ثم هي في أبسط أسبابها راجعة إلى التخلف الحضاري والفكري العام الذي حول العرب في الجملة إلى أمم تستهلك أكثر مما تنتج.

5- تعريف الموارد التعليمية المفتوحة:

نورد هنا من التَّعاريف ما نراه كفيلا بتحقيق الغرض المطلوب وهو ضبط المصطلح بأيسر تعريف:

- هي:" موارد التعليم والتعلم والبحث المتاحة من خلال أي وسيلة - سواء أكانت رقمية أم غير رقمية - والتي تندرج في الملك العام أو تم إصدارها بموجب ترخيص مفتوح يتيح للآخرين الانتفاع المجاني بها واستخدامها وتكييفها وإعادة توزيعها بدون أي قيود أو بقيود محدودة. و تندرج عملية الترخيص المفتوح في إطار حقوق الملكية الفكرية القائمة على النحو الذي حددته الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، وتحترم حقوق المؤلف"[11].

- هي :" المواد الرقمية التي تتاح بحرية وبشكل مفتوح للمعلمين والطلاب والمتعلمين الذاتيين للاستخدام وإعادة الاستخدام لأجل التعليم والتعلم والبحث وهي تشمل المحتوى التعلمي والأدوات البرمجية لتطوير واستخدام وتوزيع المحتوى وكذلك الموارد التنفيذية كالرخص المفتوحة وعرفت من قبل كومنويلث التعلم بأنها المواد المعروضة بحرية وبشكل مفتوح للاستخدام والتكييف لأجل التعليم والتعلم والبحث والتطوير."[12]

يتلخص من هذه التعريفين أن الموارد التعليمية المفتوحة هي مواد ذات طابع معرفي، ناشئة عن توظيف التقنية في تخزينها وتوفيرها للجمهور ، ثم هي بعد ذلك متاحة للعامة دون قيود – في الجملة- غير أنها وبسبب من عمومها وتوفرها للجمهور بشكل عام قد لا تتوافق و المناهج التعليمية المختلفة؛ لأن المناهج التعليمية إنما تصاغ لتحقيق الأهداف العامة والخاصة للتعليم؛ وهي الأهداف التي تخضع لفلسفة المجتمع والإطار الثقافي الذي يحكم بنية المجتمع.

ويتأسس على هذا أن الموارد التعليمية المفتوحة وإن كان الوصول إليها سهلا إذا توفرت شروطها من معدات وأجهزة رقمية، غير أنها تخلق مشاكل كثيرة يأتي على رأسها أن تعدد المصادر المفتوحة، والجهل بمن يقف خلفها في غالب الأحيان ربما ولد نشاطا تعليميا موازيا للتعليم النظامي، ويترتب على ذلك أن العملية التعليمية النظامية ستتأثر لامحالة؛ لأنها عملية مقيدة ومضبوطة بضوابط كثيرة، تحدد وتؤطر السياق التعليمي، بينما تنفلت الموارد التعليمية المفتوحة من تلك القيود، وتسير في اتجاهات كثيرة غير مضبوطة.

6- الموارد التعليمية المفتوحة قوة التأثير وفوضى الاستعمال:

لا يخفى أن الغرب قد تجاوز الحديث عن جدوى التعليم من خلال توظيف الموارد التعليمية المفتوحة باعتماد ما توفره التقنية بشكل عام؛ إذ انغمس الغرب فيه بالكلية، وأضحى الحديث بالأساس متوجها نحو مزيد من التفكير في طرق تنويع متاحات التعليم الالكتروني مع العمل على انسجامها مع الأهداف المسطرة ومختلف الأنشطة التعلمية داخل حجرات التدريس؛ لذلك تنصرف الأنظار نحو الذكاء الاصطناعي باعتباره آخر مستجد في عالم التقنية اليوم،كما تتوجه الأنظار في العالم الغربي نحو سبل إغناء فعل التعليم بما توفره من الثورة الرقمية من ممكنات، أما على مستوى العالم العربي فمازال الحديث موصولا بطرق الانتقال من التعليم النظامي الذي ينبني على الحضور الجسدي في مرافق تعليمية محددة، واستعمال وسائل تعليمية تقليدية، إلى التعليم النظامي الحديث

التي يتسم بمرونة كبيرة، ومزاوجة بين النظام الحضوري والدراسة عن بعد، وبرغم بعض التجارب التي حدثت في العالم العربي تحديدا في ظل جائحة كورونا، عندما تحولت المؤسسات التعليمية نحو التعليم عن بعد، لكنها مع ذلك لم تكن ناشئة عن رغبة ووعي بطبيعة هذا التحول وأهميته البالغة في ظل التحولات المعرفية المتسارعة، بل كانت ناشئة تحت ضغط الواقع الذي أفرزته كورونا،كل ذلك يعني أن الهوة بين العالمين لعربي والغربي واسعة جدا.

غير أن التوصيف الدقيق لهذا الواقع في العالم العربي يشير إلى أن الأمر طبيعي جدا؛ إذ لا يتصور أن نقفز بالتعليم خطوات كبيرة ونحن لا نملك القدرة على القفز؛ لذلك فإن الحديث عن الموارد التعليمية المفتوحة في العالم العربي هو أمر متصل بأمور كثيرة نسوقها على النحو الآتي:

1- واقع التعليم في العالم العربي؛ إذ هو في الغالب نمط تقليدي لا تتوفر فيه الوسائل التقنية الحديثة إلا لماما.
2- التخطيط والمناهج التعليمية التي لا تراعي هذا المستجد، ولو راعته فهي منفصلة انفصالا غير واع عن واقعها المعيشي والاقتصادي؛ فالواقع بكل أبعاده يكذب ما تروج له تلك المناهج من اعتماد المتاحات التقنية في مراكز التعليم التقليدية.
3- الانفتاح غير المدروس على التقنية في كل مصادرها وبكل تجلياتها، ومن مظاهره الفوضى الكبيرة في الاعتماد على المصادر المعرفية الرقمية من لدن المتعلمين، يرافقه غياب الرقابة والتوجيه من الأطراف الفاعلة في العملية التعلمية التعليمية.
4- مدى إسهام العرب في صناعة المحتويات الرقمية التي تغذي الموارد التعليمية مفتوحة المصدر، وعدم الاكتفاء بدور المستهلك.

أما عن واقع التعليم في العالم العربي فالذي يشهد به الواقع أن التفكير ليس منصبا على سبل توظيف الموارد التعليمية المفتوحة، إنما هو منصب على سبل حل مشكلات التعليم العويصة كالاكتظاظ في المدارس والتسرب المدرسي وظروف التعليم السيئة، وهي مشاكل تأتي على قبة اهتمامات القائمين على الفعل التربوي في العالم العربي، لذلك فإن الانتقال نحو التعليم التقني الحديث يمر لا محالة بتهيئة الظروف الاجتماعية والمادية لهذا الانتقال، و إعداد بيئة بشرية مؤهلة ؛ إذ لا يخفى أن" التحدي الحقيقي هو الدخول ببلادنا

حضارة التكنولوجيا المتقدمة التي أصبحت العامل الحاسم في تقدم الشعوب، ولاشك أن نقطة البدء هي إعداد الكوادر القادرة على إنجاز هذا التحول الكبير، الذي يتطلب خلق بنية تعليمية يبني الطالب من خلالها خبراته التعليمية عن طريق تعليمه كيفية استخدام جميع المصادر المعرفة، وجميع وسائل التكنولوجيا المساعدة"[13].

أما المناهج التعليمية التي باتت مؤخرا تلح على ضرورة توظيف التقنية في العملية التعليمية فهي من حيث التنظير مسايرة للواقع التعليمي في بعده العالمي، لكنها من حيث واقع العالم العربي بعيدة عن حقيقة مايعيشه التعليم في العالم العربي من مشاكل كبيرة سبق الحديث عنها، ولا يخفى على ذي نظر أن القفز نحو الحديث عن توظيف التنقية بكل أبعادها وإدراج المصادر التعليمية المفتوحة ضمن الموارد التي تغذي تعلُّمات المتعلم، والتغاضي عن المشاكل الحقيقية التي تؤرق قطاع التعليم في العالم العربي فيه نوع هروب كما يقال، ومن جهة أخرى فإن العالم الغربي الذي نريد التأسي به في قضية الانفتاح على الموارد التعليمية المفتوحة إنما وصل إلى هذا التطور الكبير بسبب من مخلفات الثورات العلمية المتلاحقة التي بنت الإنسان الغربي من الصفر، ومن " المهم أن نلاحظ أن التغييرات الحادثة في المجتمع والتعليم خلال الثورتين الصناعيتين : أولى والثانية لا يمكنهاأن تنفصل عن صيرورة العوامل الاجتماعية والاقتصادية مثل: الدورات الاقتصادية وغيرها من التحولات الجيوسياسية العملاقة التي حدثت في بريطانيا والولايات المتحدة وفي عدد آخر من الصناعية الأخرى كما في اليابان وألمانيا"[14]. لذلك يتحتم على القائمين على الفعل التعليمي مراعاة التدرج في السير نحو منظومة تربوية ناجعة، تراعى فيها بنائها الإمكانات المتاحة فعلا التي تكون نقطة الانطلاق نحو الأفضل، وبالتتبع يكون بناء المناهج التربوية مرافقا لكل التحولات المعرفية التي تعرفها المجتمعات، وهذه المرافقة تنبني على مبدأ أساس مفاده أن عملية التحيين المستمر للمناهج التربوية ضرورة لا مناص منها.

أما من حيث انفتاح الأجيال المتلاحقة على البيئة العنكبوتية التي توفر ليس فقط مصادر تعلمية مفتوحة، بل توفر ما يعجز اللسان على وصفه والعقل عن حصره؛ من معارف ووسائل ترفيه ووسائل تواصل حديثة، أسهمت في تنوع الوظائف التي"تعلقت باستخدام الشبكة وغزت من خلالها مجالات كثيرة في السياسة والاقتصاد والإدارة والعلوم والاتصالات والتعليم والثقافة والبيئة والسياحة ومن أبرز هذهالوظائف نقل المعلومات

والمعارف المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة واستخدامها ونسخها وتوظيفها وإتاحة فرص التواصل والتفاعل وتبادل الآراء ووجهات النظر المختلفة بين جمهور المستفيدين من الانترنت عن طريق برامج المحادثة والبريد الإلكتروني والمنتديات ومختلف أشكال الحوار والتواصل على الشبكة."[15]. كل ذلك مسهم لا محالة في تشتيت أذهان المتعلمين، وانصرافهم نحو وسائل الترفيه الالكتروني، ما يعني أن تعامل المتعلمين مع المصادر التعلمية المفتوحة محفوف بالمخاطر، فهي وإن قدمت للمتعلم معارف كثيرة لكنها من جهة أخرى واقعة في بيئة حرة ساحبة للمتعلم نحو عوالم كثيرة لا تمت للتعليم بصلة، لذلك يصبح الحديث عن دور فعال للأسرة والمجتمع غاية في الأهمية، حتى لا ينفصل المتعلم عن واقعه ويعيش في عوالم وهمية تبنيها المتاحات الرقمية، فيؤثر ذلك كله بشكل مباشر على تعلماته المختلفة.

وأما عن إسهام العرب في إسهام العرب في صناعة المحتويات الرقمية التي تغذي الموارد التعليمية مفتوحة المصدر، وعدم الاكتفاء بدور المستهلك، فليس يخفى أن القوي فعلا هو من امتلك زمام العلم وتحكم في الموارد الرقمية المختلفة في صورة موارد مفتوحة وبرامج وتطبيقات تعتمد على مفرزات الذكاء الاصطناعي، ومع أن هذه الحقيقة لا تخفى على العامة فضلا عن الخاصة إلا أن الوضع العام في عموم العالم العربي يخبر بتأخر كبير يعرفه العالم العربي في صناعة المعرفة، و" السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما موقعنا نحن (أي العرب عموما) من هذه التغيرات والتحولات المتسارعة، بل وكي يصبح السؤال صحيحا: ما هو موقعنا وليس موقفنا من كل ذلك؛ إذ إن الموقف يعني القدرة على الاختيار الواسع، أما الموقع فيعني كيفية الإدراك والتعامل مع شيء مفروض بمعنى أنه موجود هنا والآن بغض النظر عن الرفض أو القبول؛ أي بغض النظر عن الاختيار"[16].

إن تحديد الموقع الآن ورسم أهداف تتلاءم وقدراتنا الحالية كفيل بوضع الجهود العربية في مجال التقنية على السكة الصحيحة، وساعتها يمكن لنا أن نصنع محتوى رقميا يراعي الخصوصية الثقافية للعالم العربي، ويسهم بشكل فعال في تصحيح المسار المعرفي للمتعلمين. وليس يخفى أن هذه التحول إنما يتولد عن نموذج ثقافي عام يُنظر فيه إلى التحول الرقمي على أنه لبنة مهمة من لبنات بناء الحضارة، والحق أن التماهي غير المحمود في النموذج الثقافي الغربي سيزيد هُوة التخلف اتساعا، وسيجعل من العرب عموما في موقع التابع المستهلك، وهو موقع سيوهن النموذج الثقافي العربي ويجعله دائرا في فلك بقية النماذج الثقافية؛ لذلك وجب الأخذ بأسباب تكوين نموذج ثقافي يحمي النظم الاجتماعية

والثقافية والتربوية لأبنائنا، ويصنع لنا تميزا مثمرا عن الآخر و " تميزنا عن الآخر الغربي قائم فقط حيث يكون التميز والافتراق .. الأمر الذي يجعل علاقة نموذجنا الثقافي – الذات الثقافية – بالآخر هي علاقة التميز والتفاعل التي هي وسط عدل متوازن بين غُلويين: غلو الإفراط ، الذي يرى هذه العلاقة علاقة قطيعة وتضاد وغلو التفريط الذي براها علاقة مماثلة ومحاكاة.

ذ فكما تميز البصمة الإنسان عن بني جنسه ، مع اشتراكه معهم في جنس الإنسان، كذلك تتميز الذات الثقافية للأمة عن الذوات الثقافية الأخرى. بتميز النماذج التي يجمع كل منهما معالم المغايرة والسمات الفارقة لنموذج ثقافي عن سواه، وذلك دون إنكار أو إغفال لميادين الاشتراك الإنساني في كثير من حقائق وقوانين الكثير من التجارب والخبرات والعلوم والفنون"[17].

في ختام البحث لا يسعنا إلا أن نؤكد على ضرورة الانتقال السلس من النمط التقليدي في التعليم إلى النمط الحديث الذي يراعي مستجدات توظيف التقنية في بناء الحضارة بشكل عام، ومايوفره من مصادر تعلمية مفتوحة ومتنوعة. على أن يكون هذا الانتقال مرنا وسلسا وناشئا عن دراسة واعية وحقيقية لكل الإمكانيات التي تتوفر عليها المجتمعات العربية، لأن الحضارة سلم متصل الدرجات لا يمكن بحال تجاوز درجات منه لبلوغ درجات أعلى.

والحال هذه فإن على الفاعلين في قطاع التعليم؛ باحثين وأكاديميين وسياسيين واجبُ سد الخلل وبناء مناهج تعليمية جادة تراعي خصوصية المجتمع وتسطر أهدافا تتناسب وتحديات الواقع الذي نعيش، وتراعي ضرورة الإسهام في بناء المستقبل والتموقع ضمن عالم متصارع، كما أن على أفراد المجتمع تحمل مسؤولياتهم تجاه أبنائنا الذين يشهد الكثير منهم انغماسا شبه تام في عوالم تقنية مخيفة تسحبهم نحو الترفيه والإدمان الالكتروني.

إجمالا يمكن أن نصوغ المقترحات التي يتبناها البحث على النحو الآتي:

- تقييم الوضع التعليمي العربي تقييما صحيحا وصادقا، بحيث نرصد كل الاختلالات التي تعرفها نظم التعليم في العالم العربي.

- تحديد كل العوائق التي تحول دون استثمار ما تتيحه التقنية من متاحات والعمل على إزالتها أولا، ثم تهيئة البيئة التعلمية لتوظيف مفرزات التقنية الحديثة.
- دراسة جادة لواقع الموارد التعليمية المفتوحة في سياقها الغربي، من حيث تنوعها وتلبيتها لاحتياجات المتعلم المختلفة. ثم العمل على تكييفها و فق احتياجات المتعلمين في مختلف الأطوار، عملا بمبدأ: العلم مشاع بين كل الأمم.
- العمل على صنع محتوى رقمي خالص يغذي الموارد التعليمية المفتوحة وتوجيه أنظار المتعلمين والأولياء نحوها.
- تكييف المحتوى الرقمي والموارد التعليمية المفتوحة مع ما يتطلبه النموذج الثقافي العربي العام، وتضمينه كل الأهداف التي تؤسس لمتعلم عربي فاعل ومؤثر في السياق الحضاري العالمي.
- العمل على إعداد مناهج تعليمية مرنة ومتفاعلة مع كل المستجدات المعرفية والتقنية، مع ضرورة تحيينها بشكل دوري خلال فترات زمنية محددة سلفة.
- تحمل كل الأطراف الفاعلة في الفعل التعلمي لمسؤولياتها وإخلاص النوايا رجاء النهوض بالأجيال المتتابعة من المتعلمين، وذلك إعداد فرد واعي قادرعلى تحمل مسؤولياته تجاه نفسه ووطنه و مجتمعه.

روافد البحث وإحالاته:

[1]- مع لحاظ أن البعض يقول مصححا:" أعطني سمكة وعلمني كيف أصطادها" ، بدعوى أن المتعلم يحتاج المرافقة والتوجيه
والمساعدة التي تتمثل في زاد معرفي يقدم بشكل أولي للمتعلم. وهو رأي له حظ من النظر والاعتبار.

[2]- إذ لا يخفى على ذي لب أن كل مقاربة إنما ظهرت في سياق معرفي وثقافي وعلمي خاص بها، لا يؤهلها لأن تأخذ بزمام الطرائق
والمناهج التي تتجاوز تلك السياقات.

[3]- مدحت محمد أبو النصر،2016، تطوير العملية التعليمية: مدرسة المستقبل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، ص12.

[4]- عبد الله بن خميس أمبسعودي،2016، هدى بنت علي الحوسينية، استراتيجيات التعلم النشط: 180،استراتيجية مع الأمثلة التطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة، الأردن، ط1،ص29

[5]- علي أسعد وطفة،2020، مستقبل التعليم العالي الخليجي في ضوء الثورة الصناعية الرابعة قراءة نقدية في إشكالية الصيرورة والمصير، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، ط1، ص13.

[6]- أحمد حسين اللقاني،1995،تطوير المناهج التعليمية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ص168.

[7]- عبد الرحمان بن حسن العارف،2007، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللّغة العربيّة "جهود ونتائج"، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني، العدد: 73، السنة الحادية والثلاثون، تموز كانون الأول ، ص 48.

[8]- علي السلمي،2020، نماذج وتقنيات الإدارة في عصر المعرفة، دار غريل للنشر، القاهرة، ص 57.

[9]- محمد محمد الهادي، 2002،المنظمة الرقمية في عالم متغير. المؤتمر العربي الأول لتكنولوجيا المعلومات والإدارة بعنوان: نحو منظمة رقمية، شرم الشيخ، 1-4 أكتوبر، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ص 5.

[10]- سناء منعم ومصطفى بعناني،2015م ،اللسانيات الحاسوبية والتّرجمة الآليّة -بعض الثوابت النظرية والإجرائية-، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد ، ص93.

[11] - جميل إطميزي، فتحي السّالمي، 2019،الموارد التعليمية المفتوحة: الاستخدام والمشاركة والتبني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دط ، ص19.

[12]- المرجع نفسه، ص19.

[13]- حنان الزبلاوي حسن، ديسمبر 2014، العقبات والتحديات التي تواجه التعليم الالكتروني في الوطن العربي، مجلة التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، مج3، ع 3، ص339.

[14] - علي أسعد وطفة، مستقبل التعليم العالي الخليجي في ضوء الثورة الصناعية الرابعة قراءة نقدية في إشكالية الصيرورة والمصير، مرجع سابق، ص38

[15]- طارق عبد الرؤوف، التعليم الالكتروني والتعليم الافتراضي اتجاهات عالمية معاصرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2014، ص94.

[16]- تركي الحمد،1993، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، دار الساقي، بيروت ،لبنان، ط1، ص10.

[17] - محمد عمارة،1998، النموذج الثقافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د.ط ، ص5-6.

قائمة المراجع:

1- أحمد حسين اللقاني،1995،تطوير المناهج التعليمية، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

2- تركي الحمد،1993، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، دار الساقي، بيروت ،لبنان، ط1.

3-جميل إطميزي، فتحي السّالمي، 2019،الموارد التعليمية المفتوحة: الاستخدام والمشاركة والتبني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دط.

4-حنان الزبلاوي حسن، ديسمبر 2014، العقبات والتحديات التي تواجه التعليم الالكتروني في الوطن العربي، مجلة التعليم عن بعد والتعليم المفتوح، مج3، ع 3.

5 - سناء منعم ومصطفى بعناني،2015م ،اللسانيات الحاسوبية والتّرجمة الآليّة -بعض الثوابت النظرية والإجرائية-، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد.

6-طارق عبد الرؤوف، التعليم الالكتروني والتعليم الافتراضي اتجاهات عالمية معاصرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2014.

7- عبد الرحمان بن حسن العارف،2007، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللّغة العربيّة "جهود ونتائج"، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني، العدد: 73، السنة الحادية والثلاثون، تموز كانون الأول.

8- عبد الله بن خميس أمبسعودي،2016، هدى بنت علي الحوسينية، استراتيجيات التعلم النشط: 180،استراتيجية مع الأمثلة التطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة، الأردن، ط1.
9- علي أسعد وطفة،2020، مستقبل التعليم العالي الخليجي في ضوء الثورة الصناعية الرابعة قراءة نقدية في إشكالية الصيرورة والمصير، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، ط1.
10- علي السلمي،2020، نماذج وتقنيات الإدارة في عصر المعرفة، دار غريب للنشر، القاهرة.
11- محمد عمارة،1998، النموذج الثقافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د.ط.
12- محمد محمد الهادي، 2002،المنظمة الرقمية في عالم متغير. المؤتمر العربي الأول لتكنولوجيا المعلومات والإدارة بعنوان: نحو منظمة رقمية، شرم الشيخ، 1-4 أكتوبر، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
13- مدحت محمد أبو النصر،2016، تطوير العملية التعليمية: مدرسة المستقبل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1.